http://www.opoosoft.com

حولية

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

العـــدد الحادى عشر

١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م

مطبعـة الحسين الإسلاميـة
٢٥ حارة المدرسـة خلف الجامع الأزهـر
ت : ٥١٠٦٧٢٤

http://www.opoosoft.com

حولية
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

العـــد الحادى عشر

١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م

مطبعـة الحسين الإسلاميـة
٢٥ حارة المدرسـة خلف الجامع الأزهـر
ت : ٥١٠٦٧٢٤

http://www.opoosoft.com

هيئـــة تحـــرير المجـــلة

رئيس الحـــرير

ا . د / السيد أحمـد إبراهيم حمـور عميـد الكلية

أسرة التحـرير

ا . د / محمد إبراهيم الفيـومى رئيس قسم أصول الدين

ا . د / شعبان محمد اسماعيل رئيس قسم الشريعة الإسلامية

ا . د / طاهر عبد اللطيف عوض رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

ا . د / نشأت عبد الجواد محمد ضيف

http://www.opoosoft.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد النبى ، وآله الطاهرين وصحابته أجمعين . وسلم .

ويسعد ؛ فيسر أسرة الكلية ـ وتحرير الحولية ـ أن تضع العدد الحادى عشر منها بين يدى السادة القراء والباحثين والمتخصصين .

وقد جاء فى صورته المشرقة المشرقة ، متضما البحوث المنتقاة، المنمقة ، التى تحمل فى طياتها باكورة من الموضوعات الممتعة المقنعة ، والغنية الثرية بطيب الكلم ، وسامق المعانى ، وعميق المغزى بذل فيها السادة أربابها الجهود المكثفة ابان تدوينها بأقلام أمينة ، وأفكار قيمة سليمة ، ثم قدموها لتذخر وتزدان بها حوليتنا هذه .

وبموضوعات هذه الحولية حرصت الكلية ـ من جانبها منذ البداية ـ على عرضها للمراجعة على المتخصصين الذين ما أن القوا عليها النظرات بامعان ، وطالعوها باتقان . حتى منحوها القرارات الصريحة بصلاحية نشرها بالحولية .

وعلى هذا الأساس . يلاحظ أن الكلية ـ للامانة العلمية ـ لم تال جهدا فى حرصها على انقاء البحوث الجادة الهادفة فى مجالات التخصص والتى ازدهرت بها الحولية التى انتظمت بين صفحاتها الوانا مختلفة من علوم أصول الدين والشريعة الغراء ولغة العرب ، وما إلى ذلك من عمل وانشطة غير واحد من السادة أعضاء هيئة التدريس بالكلية . فضلا عن أنها قد أفسحت المجال لاستقبال بعض البحوث ـ مختلفة

http://www.opoosoft.com

الموضوعات – من خارج الكلية • تلبية للرغبة ، واسهاما فى نشر العلوم والمعارف وفى ذلك الصنيع الجميل مالا يخفى من النمو والرقى للحولية ، والشرف والتقدير للكلية •

ولا يختلف اثنان فى أن علوم الدين والشريعة لها فى النفس منزلة وفى القلب مكانة ، وان اللغة العربية جزء يرأسه من الشخصية العربية والقومية • فهى مادة التفكير ، ووسيلة التعبير ، وسبيل التواصل بين حلقات التراث الحضارى قديمة وحديثة ومعاصرة ، فضلا عن ما تؤديه تلك اللغة – لغة الضاد – من دور نشط فى التعبير عن الثقافة العربية • الاسلامية • إذ خلق الله اللغة العربية والاسلامية روابط لا تقطع ، ووشائج لاتنفصم عراها •

وفى النهاية • لايسعنى الا أن أحيى فى أسرة الكلية – بعامة – وتحرير الحولية – بخاصة – ذلك النشاط الدافق والجهد الصادق ، والعمل الخالص لله وحده راجيا منه سبحانه لهم التوفيق والسداد وللامة العربية الاسلامية حفظ دينها ولسانها • أنه نعم المجيب •

أ • د / السيد أحمد إبراهيم حمور

رئيس التحرير وعميد الكلية

http://www.opoosoft.com

بحوث

في التفسير وعلوم القرآن

http://www.opoosoft.com

http://www.opoosoft.com

التوطين التاريخي للإرهاصات النبوية في سيرة ابن هشام

تأليف
أ.د / محمد إبراهيم الفيومي
عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة سابقا
ورئيس قسم أصول الدين

http://www.opoosoft.com

بسم الله الرحمن الرحيم

في عصرنا الحديث نلحظ أن أهم ما ركزت عليه العلوم الانسانية علمان :

علم النطق ، لأنه يعلم التفكير السليم وقواعد الحوار ، ومبادىء المفاهيم المشتركة ، وعلم التاريخ : لأنه يعطى المثل المفيدة سواء باجتناب ما يراه من أسباب تدهور الأمم ، أو بالاقتداء لما يراه عاملا من عوامل الترقى الاجتماعى ومناسب لرؤيته العصرية .

ولقد وقر لدينا من خلال مراجعتنا لسيرة ابن هشام أنه تمرس بالعلمين معا : التاريخ والمنطق من حيث حظه الفكرى العام .

لقد كان ابن هشام تواقا للوصول الى معارف صحيحة ثابتة من خلال روايات (ابن اسحق) التى انتقى منها ما رآه صالحا لاثباته ومزيف فيها ما رآه قابلا للزيف ، ، وكان من الواضح أنه لا لذة عنده تعدل لذة التحليل والاستنباط مع الحفاظ على المنهج النقلى فى السيرة النبوية .

لقد استطاع ابن هشام من خلال منهجه للمبشرات بالنبوة أن يبين

(*) القى هذا البحث فى مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الحادى عشر . نوفمبر سنة ١٩٨٥ م .

http://www.opoosoft.com

أنه يجب عدم الخلط بين مهاجمة بعض الخرافات المعينة ، وهى متوافرة فى كل الشعوب وبين المعجزات الإلهية التى يظهرها الله على يد الرسول تشريفا له ، وإعلانا وإعلاما بنبوته وبيان نفوذها الغريب فى خرق قوانين الطبيعة .

نقول ذلك لمن يقرأ تاريخ السيرة(١) لابن هشام(٢) أن ثمة أمرا يسيطر على ذهنه ويلح فى السيطرة كلما أمعن فى قراءتها ، ولا يكاد ينتهى منه إلا وهو يجد نفسه أمام استفهامات تشككه فى أن ابن هشام تكلف منهجه فى كتابه عن السيرة ومقدماتها حين أراد أن يجعل الأحداث على مستوى العالم وعلى مستوى الجزيرة العربية وعلى مستوى أسرة الرسول : سوابق تاريخية ذات رباط واحد هيأت الذهن البشرى لطلب رسالة الرسول وتمنى بعثته .

كما بدا لنا أن ابن هشام قد تكلف منهجه أو أفرط فيه إفراطا جعلنا نستخف ببعضه ، ويجاوزنا الاستخفاف إلى إنكار كثير منه ، ولا نلتفت إلا إلى أقله ، وكانت وسائل تشككنا فى منهجه جعلنا نظنه: أنه تكلف فهم السيرة من وراء نزعة ذاتية استبدت به ، فبات يرى بها مفهوما جديدا فى التاريخ والسيرة معه دائرة من دوائره ثم طال بنا الخاطر ، وكدنا نقع فى براثنه ، لولا أننا رجعنا وتشككنا فيما أراد الخاطر أن يفرضه علينا ، فأخذنا نقلب الرأى لنفهم مفهومه عن

---

(١) كتاب السيرة النبوية سبق إلى تاليفه ابن اسحق ، ثم لخصه ابن هشام ، وهو الذى نحيل عليه الدراسة .

(٢) ابن هشام : هو الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري البصري الأصل ، المتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ .

http://www.opoosoft.com

التـاريخ الذى استطاع به أن يفـرض على أذهاننا ألوانا من الخرافات وبقـايا من الأسـاطير ٠

أراد ابن هشام أن يقيم بنـاءا متكاملا من الأحداث التى سبقت ميلاد الرسول ، ليشع إرهاصا ببعثته من غير أدنى نظـر نقدى منـه لاختبار الحدث اختبارا تاريخيا أو عقليا ٠

يقول ابن هشام مبينـا منهجه من سـيرة ابن اسحق وصنيعه معها: « وأنا إن شـاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكـر اسماعيل بن ابراهيم ، ومن ولد رسول من ولده وأولادهم لاصلابهم ، الأول من اسماعيل إلى رسول الله وما يعـارض من حديثهم وتارك ما ذكـره غيرهم من ولد اسماعيل على هذه الجهـة للاختصـار إلى حديث سـيرة رسول الله ، وتارك بعض ما ذكـره ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله فيـه ذكـر ، ولا نزل فيـه من القـرآن شىء ، وليس سببا لشىء من هذا الكتاب ولا تفسـيرا له ، ولا شاهدا عليـه لمـا ذكرت من الاختصار وأشعارا ذكـرها لم أر أحدا من أهـل العلم بالشعر يعـرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسـوء بعض الناس ذكـره ، وبعض لم يقـر لنـا البكاء بروايته ، وسنقص انشـاء الله - تعـالى - ما سوى ذلك منـه بمبلغ الرواية له ، والعلم به » تلك خطـة ابن هشـام مع كتاب ابن اسحـق ٠

وكان من المهم من وجهـة نظـره أن يكون الحديث له روايتـه التي تتفـق مع قاعدته التي التزم بهـا حين بدا كتابتها ، وحين أراد

http://www.opoosoft.com

تهذيبها من جهة الرواية عن ابن اسحق(٣) وهذا بلا شك جانب يتسم بالامانة العلمية .

وكان اتجاهه هذا لا مبرر له سوى انه أراد ان ينحو بالتاريخ منحى وجدانيا ، وكانت وسيلته لتحقيق مفهومه هذا عن التاريخ انه اعتمد على توظيف مبدأين :

- **مبدأ تاريخي** : يرى أن التاريخ تسجيل أحداث حاول ابن هشام من وراء تسجيله لأحداث السيرة أن يقوم بالترابط بين ظهور النبوة والأزمات التاريخية ، وهذا ما جعلنا نصف النبي أو الأنبياء بانهم مخلصون .
- **مبدأ أخلاقي** : يرى أن الحياة تتحول نحو الأفضل ، حاول ابن هشام أن يقرب البعد الشاسع بين القيم وسيرة الحياة الواقعية أو قل بين الأحداث والقيم مؤكدا على حاجة الإنسانية إلى ظهور نبي .

على هذين المبدأين : قدم ابن هشام نسيجه للسيرة النبوية رابطا بين الأحداث على توظيفه لهذين المبدأين حتى يبرز الرؤية الروحية في

---

(٣) ابن اسحق : هو أبو بكر محمد بن اسحق بن يسار المطلبي بالولاء ولاءه لقيس بن مخرمة بن المطلب ، وكان جده يسار من سبي عين التمر سباه خالد بن الوليد ، توفي ببغداد ١٥١ هـ وهو ثبت في الحديث عند اكثر العلماء ، قال ابن شهاب الزهري : من اراد المغازي فعليه بابن اسحاق ، ذكره البخاري في التاريخ عن سفيان بن عيينه انه قال : ما أدركت أحدا يتهم ابن اسحق في حديثه ، وثقه البخاري ومسلم ، وذكر له حديثا واحدا .

http://www.opoosoft.com

الكشف عن مقدم نبى يفسر مسيرة التاريخ الذى اشتدت وطأته على الإمبراطورية أكبر دولة سياسية فى هذا الوقت وكذلك الأكاسرة .

وكنا نلاحظ أن مقدمات السيرة النبوية أو إرهاصاتها انقسمت لديه إلى قسمين بناء على هذين المبدأين السابقين .. قسم يشكل الأزمات التاريخية التى عاش فيها العالم والجزيرة العربية معه على أمل قلق يتوقع فيه مجىء رسول الإصلاح ، وتبدأ الأزمات من حرب بين القبائل إلى حرب بين الدولتين الفرس(٤) والرومان .

وقسم يشكل تباشير بعثته تبدأ من نبوءات اليهود(٥) والمسيحيين إلى طلب الدولة الرومانية وفاقها مع المسيحية من حيث هى دين . ومن الصراع الدائر بينهما وبعد مسيرة الواقع كثيرا عن قيم السماء العليا وكانت فى محاولة الوفاق مع المسيحية ما يعنى التقليل من هذا البعد .

وهكذا فى فترات الصراع والشك تبدو الحياة بأجمعها تتأرجح بواقعها بين التبشير بالدعوة والزحف إلى قيم جديدة ... من وراء ذلك يرى ابن هشام أن مسيرة التاريخ تتجه نحو الكشف الروحى عند نبى قرب مبعثه ، ووفق رؤيته الروحية للتاريخ . غابت عنه

---

(٤) قارن بين ما ذكره عن أمر الفرس باليمن ص ١٤٥ ، جـ ١ وبين ما ذكره عن الحبشة وقصة أبرهة ص ٣٥ ـ ٤٨ ، جـ ١ .

(٥) راجع : حديث فيمتون ص ٣٠ ، جـ ١ وخبر ابن القادر وطلبه الإسم الأعظم ص ٣٢ ، جـ ١ ، وخبر إنذار اليهود برسول الله وحديث ابن الهيبان وما بشر به ص ١٤١ ، جـ ١ ، وصفي النبي في الإنجيل ص ١٥٢ ، جـ ١ .

http://www.opoosoft.com

فـروض أساسية نحو معالجـة رؤيته الروحية ، وكاد غياب تلك الفروض عنـه يلغى عمـله وهدفه من كتاب السـيرة النبوية ولاسيما مقدماتها .

الفـرض الاول : أنه أهـل الجانب العقلى ، قد يقال من قبيـل التبرير : إن ابن هشـام قدم سـيرته من خـلال الرواية التى حفظها عن ابن اسحق ، ولكننا نقول : إن ابن هشام تصـرف فيها بما وفـق إليه تصرفا يتناسب مع منهج الرواية ، فهو غير ملتزم ، وليس بعد التلخيص التزام .

من وراء هذا التصـرف كان من الممكن لابن هشام أن يعطينا تعليقا يطـرق به عقولنا كما أعطى تعليقاته على ما صـح من الشعـر رواية أو لم يصح ، وكان هناك من الروايات ما هى جديرة بالتعليق متنا أى من حيث فحوى موضوعها مثـل « رواية شـق ، وسطيح ، وروايات العـرافة »(*) دون عرافة أهل الكتاب ، غاب عنـه فرض العقل الذى سوف يرافق القـارىء وهو يتتبع صفحات السيرة و (شق وسطيح) ربما يكونان رمزا روحيا له قيمته الإنبائية لكن يرتبط رفضهما من خلال عدم كفايتهما فى الأداء والوضوح ، فضـلا عن ضعف الأدلة التاريخية .

هذا ما قد يبدو للقـارىء ، ولكن إذا ما طلبنا من القـارىء أن يصطنع الأناة ليعيد النظـر فيما كتبه ابن هشام فى مقدمات سـيرته لرآه القـارىء أنه رضى (منهج التوظيف) مع أنه كان من الأيسر له أن يتوخى (منهج الرفض) بمعنى أنه كان من الممكن لابن هشام أن يرفض روايات (شـق وسطيح) ومثيلاتها على أنه من قبيل الجدل .

(*) قارن : اللهبى العائف ص ١١٨ ، جـ ١ ، وأخبار الكهان من العرب والأخبار من اليهود والرهبان من النصارى ص ١٣٥ ، جـ ١ .

http://www.opoosoft.com

ولكنه اتبع منهج التوظيف التاريخى ليثبت بمنظور رمزى لما كنا نعتقده خرافة لأهل الوثنية ، ونعيب عليه ابن هشام فى مقدمات سيرته على أنها إرهاصات تبشيرية بمقدمه ﷺ ، كذلك روايات العرافات بالرغم من وثنيتهما فقد استغلا نبوءات منبئة بمجىء الرسول ﷺ .

كذلك نلاحظ أن ابن هشام وظف أخبارها على أنها هواتف إلهية لهداية النفوس إلى تشوف ولادته ﷺ ، وكأن الوثنية وفق (توظيف ابن هشام) كانت تتنبأ بنهايتها .

ولا يغيب عن البال أن هذه التنبؤات لم تحدث إلا لتشير إلى غاية واحدة وهى التبشير بولادة رسول قرب مبعثه ، أليس ذلك عقل جدير بالإعجاب ؟

الفرض الثانى : أهمل التناسق فى الأخبار الجزئية فمثلا حادثة الفيل(٦) يتصورها المسلم على أنها ليست حادثة ، ولكنها واقعة حاضرة فى عقيدته ، وحقيقة حية لها وجود فعلى فى قلوب الناس على الأرض كما فى السماء يمكن أن تثمر ثمارها الروحية وفق مبدأ الإيمان .

لكن لو التفت ابن هشام إلى بعض عبارات أفسدت تناسقها ، وأوهت بنيانها مثل قوله فى قصة الفيل : (فلما وجهوا الفيل إلى الكعبة أقبل نفيل بن حبيب حتى أقام إلى جنب الفيل ، ثم أخذ بأذنه فقال : ابرك يا محمود ، أو ارجع راشدا من حيث جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل) .

لا شك أن هذا التداخل فيه خلل يدعو إلى التساؤل من هو نفيل

(٦) راجع حداثة الفيل وأبرهة : ص ٤٥ ، ج ١ .

http://www.opoosoft.com

الذى أسـر إلى الفيـل فبرك ؟ وكيف دخـل إلى الفيل من بين الجنود؟ وكيف خـرج ؟ وهل يبرك الفيل مثل الجمـل ؟

اليس مثـل هذا العمـل فيـه دلالة خوارق العادات قد تصـرف الذهن البشـرى المترقب بعثة نبى الإصـلاح إلى الظن فى نفيـل أنه هـو المنتظر ، وإلا اى على أساس أجريت خوارق العـادات على يديه ، هذه الاستفهامات تعوق المطالع عن الفهم الحقيقى لحدث الفيل ٠

غاب عن ابن هشام أن القـارىء سوف يقف كثيرا حائرا أمام عدم التناسق فى الخبر الواحد ولا تمنعـه حيرته من أن يلقى باللائمـة عليه حين اغفـل جانب التناسق فيه ، فلو افترض اهميته فى قمية الموضوع لما اغفـل مناقشته وزيفـه ٠

الفـرض الثالث : عدم دقة الشروح لمـا يريد شرحه من عبارات ، وذلك يبدو واضحا فى شرحه (لإيلاف قريش) وخاصـة أنه أتى بهـا فى موضعها أى بعد (حمس قريش) ٠

على أى حال : إن تركه لكثير من الفروض العلميـة أضعف كثيرا من قيمة جزئيات تاريخية وردت فى مقدمات السيرة النبوية ٠

غياب مثل هذه الفروض عن منهجه فى تحرير روايته أضعف كثيرا من قيمة مقدمات السيرة ، وكانت وسـائل كافية لتقـوية الميول الشـكية لدى الإنسـان للتقليل من قيمة سيرته ، وبالرغم من تلك المـآخذ : فإن المنهج العـام لسيرة ابن هشـام يشـير إلى وحدة الغاية ، وذلك يظهر حـين أراد ابن هشام أن يبين فشل التوفيق بين المطلب الروحى للفـرد ومطلب المجتمع حين القى أضواء على أفراد مثل (فيمون) و (عبد الله

http://www.opoosoft.com

ابن تامر) و (الحنفاء) من قريش ... وسلمان الفارسى(٧) ثم أبرز معاناتهم فى سبيل حياتهم الروحية والبحث عن الحقيقة ، وما وقعوا فيه من آلام الضربة صبها عليهم مجتمعهم مثل هؤلاء كانوا يرون عزاءهم فى عرفانهم الروحى الذى كان يدعوهم إلى البحث عن مجتمع مثالى لزمن يجىء فى المستقبل متلمسين العذر الجميل لمجتمعهم وإدراكه الناقص للباطنية الروحية للتاريخية ، وكان فى اغترابهم دليلا كافيا على رؤية مستقبلية ، ومعنى ذلك :

أن رؤيته ليس فيها نزعة التعلق بالماضى أو الحاضر إنما تتعلق بالتبشير بالمستقبل الحافل بالحقائق الإلهية من خلال إدراك باطنى لحركة التاريخ التى سوف تحدث تعديلا فى القيم وأشكالها الواقعية الوثنية وبذلك بدأ التاريخ فى أنسب الأوقات التخلى عن قضية الوثنية الخاسرة .

لذلك لم تات سيرة ابن هشام ككتاب (الأغانى) من غير وحدة موضوعية أو (أمالى القالى) أو غيرها من الكتب لم تات على هذا المنوال إنما جاءت برباط آخى بن الأحداث التاريخية لخدمة غاية واحدة، على أى حال إن ما قصر فيه ابن هشام أو أفرط فيه هذبه السهيلى(٨)

---

(٧) راجع : سلمان الفارسى : ص١٤٢ ، أمر الحمس ص ١٣٤ ، الحنفاء : ص ١٤٥ .

(٨) السهيلى : هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن الخشمى السبيلى المولود بمدينة مالقة ٥٠٨ هـ والمتوفى بمراكش ٥٨١ هـ وكتابه هو : الروض الأنف فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام .

http://www.opoosoft.com

خير شروح سيرة ابن هشام ، ولعل الذى شغل ابن هشام أو كتاب السيرة من بعده أن يلاحظوا ما حول الأحداث التى سبقت مقدم النبوة من تهافت قد يصمها بالافتيات والانتحال هو : رؤيته الروحية لمضمون الأحداث دون جزئيات بنائها فدائما نسيج الأحداث صور تشبيهية تخضع لعوامل ثقافية تمثل عصرها ، فالجن ، والشياطين ، والغيلان، وبلاد عبقر كان لها دورها فى ثقافات عصرها حتى فى عصرنا ما زالت تطل علينا بهمزاتها لكن بصورة مهذبة عما كانت عليه قبل الإسلام فهى قبل الإسلام كان العربى يتحدث عن علاقاته الجنسية بها وعن الذين تواروا فى وادى عبقر ، فالحدث بغايته وليس بجزئياته .

وللغاية ذاتها راح يجند الأحداث لواجب التبشير التاريخى بالرسول ورسالته .

ومما ينبغى أن نشيد به أن ابن هشام كما حرص على إبراز المعنى الروحى للتاريخ فإنه كان أشد حرصا على الالتزام بمفهوم السيرة حيث كانت الأضواء مركزة على شخصية الرسول ومفرقة بخيوط رفيعة على شخصيات فرعية تساعد على فهم حياة الرسول وتصور عصره وما فيه من أزمات ولا يكاد ابن هشام يقترب من بعث الرسول حتى يوقفنا على بشائر الإنجيل (يوحنا) « يحنس الحوارى » يقول : ولكن لابد أن تتم الكلمة التى فى الناموس أنهم أبغضونى مجانا فلو قد جاء المنحمنا (أى محمد) بالسريانية هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب ... الخ المنحمنا بالسريانية ، وبالعبرية البرقليطى ، ثم ينهى ابن هشام رؤيته الروحية للتاريخ بقول الله تعالى : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق

http://www.opoosoft.com

لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

وتتضمن الآية معيار الرؤية الباطنية للتاريخ فى تفسيرها للنبوة وهو أمران :

الكتاب ـ الحكمة .

الكتاب يشار به إلى ما نزل على سلسلة الأنبياء السابقين من الوحى الإلهى ، فالكتاب ووجوده يسيران بنا إلى المعنى الحقيقى من سيرة التاريخ وهو :

الاتجاه نحو الكمال الإلهى بفضل كمال وحى الكتاب .

والحكمة : هى المعنى الإنسانى وهو بعد آخر يتجه بنا نحو الكمال الإلهى، فالحكمة إن شئت قلت عنها هى العقل أو هى الفطرة ، وكلاهما مصدق للآخر على مبعث النبوة .

هذان المعياران لا يمكن أن يكونا إلا برهانا على النبوة فقط ، لأنهما يشيران إلى ماض أزلى يتكلم عن المستقبل بلغة اليقين كما يتكلم الإنسان بلغة اليقين عن ماضيه ، فمن هنا كانت الرؤية الباطنية مرتبطة بالصدق واليقين .. وهما معا معيار الإقرار الموثق .

ثم ينتقل ابن هشام من المبشرات العامة التى يشير إليها التاريخ إلى علامات النبوة الذاتية منها : الرؤية الصادقة ، إذ كان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح .

حبه الخلوة : إذ لم يكن شىء أحب إليه من أن يخلو وحده .

فالرؤيا الصادقة وحب الخلوة أمران نفسيان يتاح للمرء من خلالهما تصفية نفسه ومحاسبة ذاته .

http://www.opoosoft.com

غير أن ظهور الهواتف المبشرة بصورها المادية المخالفة تشده من تأمله الباطني إلى حقيقة وظيفته وهو أنه مبشر بالحكمة الإلهية كيلا يهيم في أودية الشعراء وآخاديد الخيال .

فالهواتف التي حفلت بها سيرة ابن هشام ورمزياتها التي صادفت الرسول منذ رحلته التجارية الأولى مع ركب عمه أبي طالب إلى أن وافاه الوحي هي المغزى الحقيقي من معنى النبوة حيث إن والنبوة هي المعجزة الإلهية هي المعرفة الكلية التي تستطيع أن تتكلم بمنطق اليقين عن الماضي والحاضر والمستقبل بدرجة واحدة وهي غاية التاريخ الديني والإنساني أيضا .

ونحن إذ نتابع ابن هشام في سيرته نراه يؤكد طابع البشرية في الرسول ويشير ... فقط إلى :

- دعوة خديجة للقيام على رحلتها التجارية .
- حديث ميسرة عنه لها .
- زواجه منها .
- مشورته في وضع الحجر الأسود .

هذه الآيات من فضائله البشرية قبل بعثته تتحدث عنه بأنه في مجال البشرية له أسمى فضائلها حتى قال قومه له بعد بعثته : (ماجربنا عليك كذبا) ﷺ .

خلاصة البحث : (دعوة إلى مجال جديد) :

نخلص في النهاية إلى وجهة نظرنا عن منهج بعض كتاب السيرة حين قدموا الأحداث التاريخية وجعلوها في شكل إرهاصات عن مقدم نبي دراسة هذه المحاولة على جانبين من الأهمية ، وهذه المحاولة - كما لاحظنا - اتخذت طريقين :

http://www.opoosoft.com

- طريق يتجه نحو الكتب المقدسة لإبراز نصوص تتحدث عن كمال مسيرة التاريخ الدينى الذى حاول الرومان وقفه باضطهادهم للمسيح (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) وهذا من قبل ميلاد الرسول .

- والطريق الثانى : يتجه نحو تأويل الأحداث أو بعض الأحداث تأويلا روحيا محاولين بذلك إبراز الرؤية الروحية فى مسيرة التاريخ وهذا بعضه كان قبل الميلاد والآخر بعد الميلاد وقبل البعثة .

وهذا الاتجاه فى نظرنا يعنى الترابط بين النبوة والأزمات التاريخية: والأزمات التاريخية بعضها أحاط بجزيرة العرب مثل حملة أبرهة على البيت لهدمه من حيث هو بيت وليس من حيث الدعوة إلى المسيحية، والبعض الآخر أحاط بأكبر دولة فى التاريخ وهى الدولة الإمبراطورية: هذه الدولة التى تعقبت الأنبياء ومنهم المسيح عليه السلام بالإيذاء والاضطهاد والتآمر نعيبها أنها اتجهت إلى المسيحية ، ولا نحب أن نستقصى الأسباب والاعتبارات التى وجهتها إلى اعتناق المسيحية إنما نود أن نقول : إن وفاق الدولة الرومانية مع المسيحية يعنى من وجهة نظرنا أنه عندما بعدت مسيرة الواقع الإنسانى عن قيم السماء بدأ الإحساس الإنسانى مدفوعا بقلقه إلى محاولة التقليل من هذا التباعد بين القيم العليا والواقع الوثنى بدأ يتجه إلى الدين وهكذا فى فترات الصراع والشدة تبدو الحياة بأجمعها تتأرجح بين التبشير بالدعوة والزحف نحو قيم جديدة .

ومن وراء هذه المحاولات ودراستها ينكشف لنا أن مسيرة التاريخ تتجه نحو الكشف الروحى عن نبى قرب مبعثه .